# ملتقى الادبين

المحاضرة التي القاها المستشرق الافرنسي ( لوي ماسينيون ) في بهو المحاضرات بمدرسة الحقوق العربية يوم ١٩ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠ .

سادتي :

ان مدحي الذي سمعتموه من دولة الوزير هو من حسن ظنه بي وليتني اقدران اتكلم في محاضرتي هذه بما يحقق ظن دولته . جئت دمشق لامكث فيها اياماً قليلة وما كان قصدي ان ارجع من البلاد الشرقية بعد ان درست خمس عشرة سنة علوم التمدن الاسلامي فيها .

موضوعي الملتقى الادبي بين الشرقي والغربي وخاصة بين الاسلام والنصرانية وبالاخص بين سورية وفرنسا ولذا يجب ان ندقق هذا الملتقى وغاية قصدي ان نزرع روح هذا الالتقاء في مدينة دمشق .

اولا : لندقق في اسباب الهجرة ، مهاجرتكم الى بلادنا ومهاجرتنا الى بلادكم . لا أذكر الاسباب الاقتصادية لانها اسباب موقتة .

نعم اننا لانعيش بلا خبز ولكن المسألة اعلى وادوم اعني انها مسألة فكرية انتم محتاجون الينا ونحن محتاجون اليكم .

قال التشتري في موشحاته :

« ايش علي من الناس وايش على الناس مني » .

ولكن بالنسبة لنا ولكم فانه يجب ان يتبادل الشرقي مع الغربي وبصورة اوضح الافرنسي مع العربي السوري المنافع الحقيقية والفوائد المهمة .

ادخل في البحث عن اسباب سفر المهاجرين من الشرق للغرب : قيل ان سبب هذا هو انحطاط رتبة العلوم في الشرق ولذا هاجر طلاب العلم منه الى الغرب ان كثيراً من السامعين سافروا الى الغرب لتحصيل فن الطب الذي هو لتداوي الاجسام وقسم سافر لتحصيل العلوم الاجتماعية لاصلاح الامة ومداواتها الاجتماعية . نعم ان اولئك كانوا افراداً ذهبوا ورجعوا بلا اختصاص باجتماعياتنا الداخلية ولذا ارى من الواجب ان يكون بين طالب العلم الشرقي وطالب العلم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الغربي مبادلة اجتماعية فكرية وها انكم جئتمونا فرادى فجئناكم افواجا .

ابدأ في البحث عن مجمل تاريخ حركة المستشرقين في فرنسا .

ان اصل الاجتماعيات اللغة ، ولولا النطق ماتكونت الامم وان اول شعور المستشرقين الافرنسيين في اللغة العربية في النحو . وقد وجدنا خصائص في اللغات السامية لاسيا اللغة العربية فان فيها فضائل خاصة بها دون سواها . منها : الاصول الثلاثية في الكلمات اي ارجاع اي كلمة كانت الى ثلاثة احرف للاطلاع على معناها في المعجم . لكن هذه الخاصة لاتوجد في اللغات الآرية فلا ترتب المعاجم فيهـــا بمقتضى اصول الكلمات بل ترتب كل كلمة كما تلفظ .

ثانياً امكان التعبير في اللغة العربية عن تنوع الفكر الداخلي بتغيير جوهري باصول الافعال من غير لزوم لزيادة خارجية على ذلك الفعل . وليس الحال كذلك في اللغات الآرية اذ لابد فيها من زيادة خارجية للتعبير عن تنوع الفكر واشكاله .

اسمحوا لي أن ابين الفرق بين اللغات الساميـة والآرية من حيث الروحانية والجسمانية فاقول : ان اللغات السامية روحانية . واللغات الآرية جسمانية . وقد اختصت اللغات السامية بالوحي . ربما سمعتم قول الفيلسوف ( رنو ) الافرنسي فهو متعصب للآرية ويقول هي افضل من اللغات السامية لان السامية محرومة من الفنون الجميلة الواسعة .

لا انكر قوله تماماً ولكن اقول : ان اللغات السامية ذات المنزلة الروحية ( ولم نحظ بمناجاة العبد لربه الواحد الا بعد دخول النصرانية في الآرية ) وعلى كل فان مسألة اللغة ترجع الى الروح وقد قيل في القرآن الكريم ( قل الروح من امر ربي ) .

اذا دخلنا في المقابلة الاجتماعية بين الشرق والغرب نرى ان الفكر الشرقي متقدم على الفكر الغربي في تحليل مسألة توافق العلم مع الدين . وليس من الضروري ان اذكر لكم امثال ابي حيان التوحيدي وابن سينا والغزالي وابن رشد والفخر الرازي الذين نفتخر بآثارهم فهم ارباب هذا التوافق . نعم انكم تركتم هؤلاء ونحن آخذون في البحث عنهم والتدقيق في آثارهم . تركتم واخذنا فأضعتم واستفدنا لاننا نبحث عنهم كيف كانوا يدققون في المسائل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اذكر لكم مسألة ( الترجيح ) وهي برهان من براهين وجود الله ذكرها السهروردي الحلبي واعترض عليه قوم بذلك وجل قصدي ان ابين لكم تأثيرها على مفكري الغرب وخاصة على فكرة ( پاسكال )الفرنسوي في بحثه المشهور (بالمقامرة)ومعناه انه يرجح الوجود في الحشر على التلاشي كما قيل :

زعم المنجم والطبيب كلاهما لا بعث في الاخرى فقلت اليكما

ان صح قولكما فلست بخاسر او صح قولي فالخسارة عليكما

ايها السادة : هذه فكرة مكتسبة من متكلميكم و كثير من مستشرقي الامم الغربية يدققون في المنابع الشرقية الصحيحة لمعرفة انتساب هذه الفكرة واخيراً كانت لي مراسلة مع صديقي الاستاذ ( سنوك ) في كلية ليدن وكان بحثنا في رأي الغزالي في مسألة السريجية لان الغزالي رجل عظيم الهمة فنستفيد من التدقيق في سلسة افكاره . وهذا الاقتران بين المبادىء المنطقية والاحكام الفقهية الذي يشير اليه الغزالي دليل على انه لا فائدة من البحث في العلوم الا بمراقبة نتائجها العملية . فالعالم يبدأ اولا بمداواة نفسه بالترياق ثم يداوي الامة والاصلاحات الحقوقية لا بد لها من احترام في نفوس اولي الامر ومراقبة نتائجها العملية والا فلا ترجى فائدة منها للأمة هذه نقطة الملتقى بين الادبين الغربي والشرقي .

لا يستفيد البعض من الآخر إلا بعد التفاهم وهناك درجات للتفاهم . ندقق أولاً في الكلمات ثم نرجع الى المعاني . ثانياً يجب أن نفقه المعاني بمقاصدها ، مثلاً في الآية ( عيناً يشرب بها عباد الله ) فتجري نية الاخلاص في قلوبنا وأعضائنا لتمر الاعمال من التذكر الى الفهم ومنه الى التخلق باخلاق المخلصين من الاساتذة لتكون التربية واحدة . وهذا هدف التربية والعلوم . وهو أصل التضامن الاجتماعي كما جاء في الآية ( لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد ) .

اسمحوا لي ان اذكر لكم بعض تجاربي الخاصة . أما من أسفاري في البلاد الاسلامية واما من تدريسي التاريخ واما من تجاربي في زمان الحرب اذكر اولاً بيتاً من ديوان الحماسة وهو :

ولا بد من شكوى الى ذي مروءة يواسيك أو يسليك أو يتوجع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هنا يتأسس الملتقى بين انسانين واناس مختلفين ولاتمكن معرفة الرجل الا باستصحابه ولا يفهم جوهره الا عند نزول الشدائد .

واذا رجعت الى مفكرتي التاريخية فاني ادقق الفكر في تكوين هذه الامة العظيمة الاسلامية ، انظر للاسلاف من امتكم واقول : كيف تأسست الامة الاسلامية ! ان بعض المفكرين الذين ينظرون الى هذه المسألة سطحياً اي من الخارج يقولون ان العرب قد تغلبوا على هذه الاقطار الواسعة بقوتهم وبآلاتهم الحربية فخضعت لهم الاقوام . ولكن يجب ان نمعن النظر في منبع الحياة الاجتماعية في زمان تلك الفتوح فاقول انه اذا لم يكن هناك بينهم اشتراك في مبدأ صحيح فلا يمكن ان تتكون تلك الامة على هذا المقدار .

لا انسى تراجم مشاهير الاسلام وخاصة الحسن البصري الذي يعد من مشاهير رجال الامة الاسلامية واذكر انه ثارت ثورة في أيام الحجاج الثقفي في البصرة الخارج على ذلك الوالي الظالم . فقال الحسن رافضاً الاشتراك بالفتنة ( ان النصيحة واجبة والخروج بالسلاح حرام ) وضرب الناس المثل بالحسن انه رجل يتفرس بحصول السيل ويبقى مع بني قومه في الوادي بعد ذلك كما هو شأن رئيس السفينة عند الغرق وهذا دليل على سعة نطاق الفكر عندكم معشر العرب وقد كان السلف من أهل السنة متمسكين بهذه الصحبة التي تشبه صحبة الصحابي مع النبي ( ﷺ ) بمعنى انهم مرتبطون معه ارتباطاً اجتماعياً بوجه خاص . ولما كانت الضيافة اصلاً في تلك الصحبة بين العرب العاربة وجب علي ان اذكر لكم هذه الفضيلة مبرهناً عليها بما شاهدته من نتائجها بنفسي .

لا ادخل في مشكلات الاحياء ويكفي ان ارجع بكم الى ذلك الفكر الاخلاقي المفرط في منهاج السالكين لابن قيم الجوزية ومن الواجب ان اذكر كتاب الرعاية لحقوق الله وهو للحارث بن اسد المحاسبي ومن الغريب ان هذا الكتاب لم يطبع وهو في دار الكتب في أو كسفورد بانكلترا .

ان لكم فضائل اجتماعية لاتنكر عليكم وهي الرضى بقضاء الله والصبر على حكم الله والتسليم لامر الله وربما ادى عدم فهم معنى هذه الحقيقة او الفضيلة الاجتماعية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الى قبول اي استبداد كان بكم وعلماؤكم ساكتون فقد فسر الحلاج التوكل بالخمود تحت موارد القضاء .

اما تجاربي الاجتماعية في الحرب فارجع بكم لتذكار المساعي التي بذلت في الحرب. كلنا يتمنى ان نرجع للازمنة الماضية ولكن هذا غير مأمون لان من الواجب على المؤرخ ان يفهم بنفسه ويفهم السامعين ان هناك ثمرات اجتماعية باقية من كل واقعة تقع ولكل مصيبة فائدة وقد استفدت من المصائب اكثر مما استفدته من المسرات. جرحنا فتوجعنا ثم ميزنا الاليف من غيره واعددنا معدات تؤهلنا للحياة الجديدة السعيدة .

كانت في زمان الحرب العامة طلاب المدارس في فرنسا تتوافد زرافات الى الخنادق ووقف العلماء والشيوخ امام العدو وصرنا متحدين مع طبقة العامة بتأثير المصيبة المشتركة ففهم من الاجتماعات أنه لامنفعة صحيحة الا من الالفة ولاألفة الا من طريق المحن والمصائب .

اتذكر الآن من ساعدوني من اخوانكم المسلمين ولن أنسى أبداً الشيخ محمود الالوسي وابن عمه الحاج علي فهما ساعداني مساعدات اخلاقية مهمة وافهماني اهمية ملتقى الادبين الشرقي والغربي .

وقد اجتمعت بالشيخ طاهر الجزائري والشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقيين واكتسبت منهما فوائد مهمة وكنت اريد ان اشكرهما لديكم لولا انهما توفيا وخلفا امثالكم في الامة السورية فاقدم ذلك الشكر لكم واني اسعى لمعرفة السبل لتأليف اجزاء هذه الامة الصحيحة المعتبرة . وفي الختام اقول ان تأليف القلوب لا يكون بطريق سياسي كما يزعم وانما يكون بطريق الصديقية بين الاصدقاء وهذا هو ملتقى الادبين وهل جزاء الاحسان الا الاحسان .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net